

ملاحم أسلوبية

في

موشح جادك الغيث للسان الدين بن الخطيب

د. لبصير نور الدين

جامعة حسينية بن بو علي الشلف

الملخص

تطمح هذه الدراسة الموسومة بملاحم أسلوبية في موشح جادك الغيث للسان الدين بن الخطيب إلى نقد قراءة بعض أعمال المعاصرين في مقاربتهم الموشحات عموماً و موشح جادك الغيث خصوصاً، إذ ذهبت هذه القراءات إلى أن الموشح غناء، إذ سنحاول ونحن نقرأ ملاحم أسلوب بن الخطيب أن نثبت أنه يبكي، إذ ليس بالضرورة أن يكون الموشح غناء - حتى ولو غنّته فيروز - معتمدين في تحليلنا لهذا الموشح على: قراءة العنوان لأنه العتبة الذي نلج من خلاله إلى النص لنستكشف ما وراءها بتأمل ما نسجه ابن الخطيب من عناصر لغوية. وقبل الولوج في تحليل العناصر اللغوية لا يفتونا النظر في البحر والوزن والقافية لأنهما يكادان يضارعان العنوان. ثم قراءة الموشح قراءة أسلوبية .

Résumé :

Cet article est une étude critique de quelques travaux contemporains dédiés aux élégies, en particulier à l'élégie de *Lissane Eddine Bnou Al-Khatib*.

Beaucoup de chercheurs ont considéré l'élégie comme étant un chant, alors qu'*Al-Khatib* y a mis de la lamentation.

Notre analyse donnera une grande place au titre qui orientera le lecteur vers la découverte du texte, en prenant

en considération les éléments métriques et stylistiques de cette œuvre.

هذه الدراسة هي نقد لقراءة بعض أعمال المعاصرين في مقاربتهم الموشحات عموماً و موشح جادك الغيث خصوصاً، إذ ذهبت هذه القراءات إلى أن الموشح غناء... سنحاول ونخن نقراً ملامح أسلوب بن الخطيب أن نثبت أنه يبكي، إذ ليس بالضرورة أن يكون الموشح غناء، معتمدين في تحليلنا لهذا الموشح على: قراءة العنوان، النظر في البحر والوزن والقافية ثم قراءة الموشح قراءة أسلوبية.

1- قراءة العنوان: جادك الغيث :لعنوان هو العتبة الذي نلج من خلاله إلى النص لنستكشف ما وراءها بتأمل ما نسجه ابن الخطيب من عناصر لغوية يدخل العنوان الذي اختاره ابن الخطيب لموشحه في علاقة تكاملية وترابطية الأول يعلن والثاني يفسر. وعلى هذا الأساس يعتبر عنوان الموشح "جادك الغيث" النواة الدلالية الأصلية التي نزع من خلالها أن ابن الخطيب يبكي على ضياع الأندلس وضياع ملكه، والتي من خلالها تفجرت منها الدلالات الفرعية الأخرى (البكاء وما في معناه) الحزن والأسى والحسرة- البحث عن المتفسر وآفاق المستقبل).

يشكل العنوان الذي وظفه ابن الخطيب علامة بارزة التي تعمل على كشف الأقنعة، فهو المدخل الأول الذي يستطيع من خلاله القارئ تحضير آفاق الانتظار، أو أفق التوقعات باعتباره قد أعد سلفاً، ومن ثم إعداداً لكل محاولة انتهاك لتلك المعايير الجمالية والفنية التي يبنى عليها ذلك الأفق. جادك الغيث هذا العنوان الذي ينقلنا من عالم العبارة إلى عالم آخر هو أقرب إلى عالم الإشارة بالمفهوم الرمزي الصوفي. فالغيث مصطلح له امتدادات دينية صوفية قديمة،

فقد ورد في الصوفية الغوث والغيث والاستغاثة إن العنوان، باعتباره أحد مؤازيات النص (Paratextes)، لا يستحق أن يكون كذلك إلا إذا توافر فيه ضابطان؛ أولهما مسؤولية المؤلف أو المبدع في اختياره، وثانيهما القصديّة القابعة وراء ذلك الاختيار. ولدراسة عنوان أي نص، يقترح د. محمد مفتاح مسلكين اثنين؛ أحدهما ينطلق من العنوان القمة لفهم المتن النصي القاعدة، ويسميه «القِمْعَدَة»، والثاني ينطلق من النص المدروس لتعرّف دلالة عنوانه وتفهمها، ويسميه «القاعمة». ويبدو أن المسلك الثاني أكثر جدوى؛ لأن كثيراً من العناوانات لا تسعفنا على فهم النصوص، ولا تقرّبنا من مضمونها. بل إن العنوان عادةً ما ينحو منحى الإيهام والتشويش والغموض. وفي هذا الصدد، يقول أمبيرطو إيكو إن العنوان ينبغي أن يعتمد إلى تشويش الأفكار لا إلى تسجيلها. إن تشكيل العنوان في أي نص من النصوص لا يكون اعتباطياً، ولكنه يرتبط بمتن النص أيّاً ارتباطاً، بل إنه جزء لا يتجزأ من المتن. ولذلك فهو المهيّج اللاّحب إلى فكّ مجموعة من الرموز والمغالق. يقول محمد مفتاح إن العنوان «يمدّنا بزاٍ ثمين لتفكيك النص ودراسته». ¹ فالعنوان إذن هو أولى عتبات القارئ التي يقيس دلالاتها على جميع مضامين النص، "فهو مفتاح الدلالة الكلية التي يستخدمها القارئ الناقد مصباحاً يضيء به المناطق المعتمّة " في النص و التي يستعصى فهمها إلا من خلال العودة إلى العنوان. لا معنى لكلمة الغيث التي وظفها ابن الخطيب عنواناً لموشحه إذا فسرت بالمطر، وقد حاول بعض شراح الموشح تفسير ذلك بأن ابن الخطيب يدعو بالمطر على عادة المشاركة فهو يحاكي العربي الذي يعيش في أرض قحطة، لكن هذا المفهوم لا معنى له في أرض الأندلس ذات الطبيعة الغناء المعروفة بمياهها. لقد أوليت أهمية كبرى للعنوان، وذلك باعتباره مصطلحاً إجرائياً ناجحاً في مقارنة النص الذي نحن بصدد تحليله، و نظراً لكونه مفتاحاً أساسياً، أتسلح به للولوج إلى أغوار النص العميقة، وذلك بغية استنطاقه و تأويله. وبالتالي، استطاع العنوان أن يقوم بتفكيك النص من أجل

تركيبه، وذلك عبر استتقاق بنياته الدلالية و الرمزية، وأن يضيء لنا ، في بداية الأمر، ما أشكل من النص و غمض . فالعنوان - إذاً - ساعدني على نقد قراءة بعض أعمال المعاصرين في مقاربتهم الموشحات عموماً و موشح جادك الغيث خصوصاً، إذ ذهبت هذه القراءات إلى أن الموشح غناء، إذ سنحاول ونخن نقراً ملامح أسلوب ابن الخطيب أن نثبت أنه يبكي إذ ليس بالضرورة أن يكون الموشح غناء - حتى ولو غنّته فيروز -

2- البحر والقافية:النظر في البحر والقافية لأنهما يكادان يضارعان العنوان.ثم قراءة الموشح قراءة أسلوبية.

اختياره بحر الرمل:ما هي الدوافع النفسية والروحية والجمالية التي جعلت ابن الخطيب يختار بحر الرمل إيقاعاً لموشحه جادك الغيث دون سواء من بحور الشعر الأخرى؟هل هي الغربة التي كان يعاني منها وهو بعيد عن وطنه تركته يختار هذا البحر، كما لا يذكرُ الرملُ إلاَّ حَنَّ مُغْتَرَبٌ² قال الشريف الرضي:لَهُ بذي الرملِ أوطارٌ وأوطانُ

أو كما قال علاء الدين الوداعي: تُرَى يَا جِيرةَ الرَّمْلِ يَعُودُ بِقُرْبِكُمْ شَمْلِي³ هل اختار بحر الرمل لأنه يتغنى بالفردوس المفقود ، هل يتغنى بالأرض التي ترعرع فيها وأصبح وزيراً لها، فاختر بحر الرمل الذي هو نوع من الغناء، يخرج من هذا الوزن فسمي بذلك.⁴ أو ربما قد شهد بنفسه المعارك التي قامت بين المسلمين والاسبان، وما وقع من قتلى في صفوف المسلمين، ودمائهم التي سالت ، هذه الدماء ما زالت حاضرة في ذهنه لذلك استعمل بحر الرمل في إشارة خفية مستلهماً من تسميته، لأنه يقال:رمله بالدم فترمل وارتمل أي: تلطخ.وقد ترمل بدمه، أي تلطخ قال أبو أخزم الطائي: إِنَّ بَيْيَ رَمَلُونِي بِالْدمِ شِنْشِنَةُ أَعْرِفُهَا من أَخْزَمٍ⁵ أو ربما لمعاني نفسية لم يشأ الكشف عنها لكثرة أعدائه الذين يتربصون به ووشايتهم أو خوف العدو الاسباني فأسرع في الهروب هازاً منكبيه ، إذ يقال:رمل الرجل يرمل رملانا ورملنا إذا أسرع في مشيته وهز منكبيه.⁶ أو

ربما يكون قد لحظ أن الاستجابة لنجدة الأندلس لم تكن في المستوى الذي كان يطمح له بل كانت مخيبة للآمال، وخاصة أنه بدأ موشحه ب: جادك الغيث وقد زعمنا أنه لا يقصد الغيث بمعنى المطر، فكنى بالغيث عن المطر واستعمل له بحر الرمل لأن الرمل المطر الضعيف، ويقولون عام أرمل إذا كان قليل المطر والخير والنفع.⁷ لذلك فضله على غيره من بحور الشعر. ولما لا يكون قد شبه الأندلس بامرأة فقدت زوجها ومعينها وكاسبها، وكأن هذه العروس الأندلس أصبحت بلا زوج، فاختار الرمل لذلك ولو رمزياً، لأنه يقال رملت المرأة فهي أرملة

القافية: والقافية التي اختارها ابن الخطيب تتناسب مع البحر الذي عليه بنى موشحه سواء مع روي السين - أو الراء - أو الدال - أو الميم - أو اللام لتجد صدها في أصوات تفعيلات بحر الرمل، ولا يهم إن كان يتغنى أو ييكي أو يطلب الاستغاثة أو هروباً أو لضعف الاستجابة لنصرة الأندلس... فهذه القوافي ما هي إلا براكين متأججة من الآهات التي امتلأ بها صدر ابن الخطيب لا ينبغي أن تظل حبيسة في أعماقه وثنايا فؤاده بل ينبغي ومحكوم عليه بتفجيرها وإخراجها ليمتد بها الصوت إلى أقصى مدى ممكن لأن الرجل مفجوع في وطنه وأهله ووزارته... بكثرة الوشاة والخيانة من أقرب الناس إليه وصاحب نعمته ابن زمرك.. هذه الآهات المتأججة التي تعصر قلبه جعلته يختار لها قواف متعددة من سين، وميم وباء، ثم دال، وصولاً إلى اللام، هذا الانتقال في الروي زاد من سحر الموشح، فجعل السين قافية أساسية تجر من ورائها قواف متعددة.

الجرسُ الموسيقي والإيقاعات الغنائية: استعمل صوت الصفير للسين: الأندلس، خلصة، مختلس، ترسم، موسم سنا.. وذا له يعزفها على نغم هادئ ليعبر عن نفسيته المكلومة الحزينة التي مزقتها الشوق. دلالة ماثلة الهمس الذي يستودعه الشاعر في أثناء قصيدته عن تلکم الأيام المليئة بالسرور والحب هذا الهمس الغير مسموع همس به في آذان الغافلين، والنائمين

، والمتقاعسين في الدفاع عن الأندلس ، همس به لتحريك المشاعر ودغدغة العواطف لنصرة ونجدة واستغاثة الأندلس .و الهمس ، التكلم مع الغير بصوت خفيض يكاد لا يسمع ومنه (وخشعت الأصوات للقيوم فلا تسمع إلا همسا)والهمس الصوت الخفي فلذلك سميت مهموسة.⁸ هذا الهمس الذي يخرج من أعماق الفؤاد لم يجد له إلا الشفتين فاختر له حرف الميم للتعبير عما هو مكنون في صدره لأن هذا الحرف الشفوي سهل المخرج وحرف من أحرف الغنة تخرج من الخيشوم لتصحب بكاء الشاعر على بني قومه لأنهم لم يسمعوا لهمسه واستغاثته وبكائه على الأندلس ، فأحدث هذا الحرف رنيناً ليبرز صورة المعنى الذي توحي ابن الخطيب إبرازه المتمثل في البكاء وهذا البكاء يظل يتكرر كلما ذكر الأندلس، كلما ذكر مأساة ضياع الأندلس، كلما تذكر أن هذه الربوع الطاهرة دنسها الصليب، هذه الأحزان تتكرر كلما تذكر أنه عاجز عن الذود عنها، ستبقى المأساة وسيبقى الظلم والعدوان يتكرران طالما أن أهلها شيعاً وأحزاباً وطوائف متفرقون ، وهكذا نجد ابن الخطيب في موشح واحد ينقلنا من روي إلى روي آخر في تناسق وانسجام وتدرج زاد من جمالية الموشح فهاهو ينقلنا إلى قافية الباء إيداناً بوقوع الانفجار⁹. فكيف لا يكون هذا الانفجار شديداً وعنيفاً وجنة الفردوس تغتصب وتسلب لذلك اختار لها قافية الدال لأنه من حروف القلقة الشديدة، وكأنه لهول المصيبة حبس أنفاسه في مخارجها فهي لا تجري لذلك اختار لها اللام ليختم به موشحه لأنه حرف حاي كما يقول حسن ظاظا.¹⁰ وكأنه خرج من الأندلس حافيا بخفي حنين. وهكذا تفنن ابن الخطيب في اختيار القافية والقوافي المرشحة لها، وكأنها سلسلة مرتبطة بعضها ببعض لا تنفك عنها إذا نزع حلقه من حلقاتها أو بدلت لفسد وانتزع جمالها لأنها دوايب ترن بأصوات متميزة ببكاء كلما تكرر في الموشح رجع صدها إلى القوافي ثم يرجع صدى القافية إلى الكلمات ثم إلى التراكيب ثم إلى الموشح ثم إلى الشاعر ثم إلى القارئ. ومهما يقال إن لسان الدين قد تكلف

وتعمد الصنعة وهو يرصد هذه الكلمات ليجعلها تتناسب مع قافية السين والقراءة التي أجريناها أو جاء بها عفو الخاطر، أو موهبة وسجية منه أو بدهة إلا أننا لا يمكن أن ننكر أن البكاء قد صحب هذا الموشح. دليل البكاء من خلال القوافي التي وظفها ابن الخطيب: قافية السين: الأندلس - المختلس - ترسم - الموسم - سنا - السما - أنس - كساه - الكأس - النرجس - ساحر - نفس - معسول... فلا يكاد يخلو بيت من الموشح من السين، وقد استلهم ابن الخطيب ذلك من شعراء الأندلس، كالقضاعي في قصيدته السنية المشهورة في مجلس السلطان أبي زكرياء الحفصي يطلب منه الغوث والاستغاثة ويستصرخه لغيثهم:

أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أُنْدُلُسَا إِنَّ السَّبِيلَ إِلَى مَنْجَاتِهَا دَرَسَا
وَهَبْ لَهَا مِنْ عَزِيزِ النَّصْرِ مَا التَّمَسْتُ فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عِزُّ النَّصْرِ مُلْتَمَسَا ¹¹

فإذا كان القضاعي متفائلاً لذلك اختار قافية السين مفتوحة واتباعها بمد منطلق في الهواء لا يقف أمامه أحد فيكون فيه متنفساً، بالمقابل نجد ابن الخطيب يختار الكسر كانكسار منزلته ووزارته وبلده ففي ذلك تعبير عن انكسار القلب والجناح ..، وقد صرح بذلك في أشعاره من ذلك قوله: ¹²

بِلَادِي الَّتِي عَاطَيْتِ مَشْمُولَةَ الْهَوَى بِأَكْنَافِهَا وَالْعَيْشِ فِينَانَ مُخْضَرُ
وَجَوَى الَّذِي رَبَّى جَنَاحِي وَكَرِهَ فَهَذَا أَنَا دَا مَا لِي جَنَاحٌ وَلَا وَكْرُ
فَمَنْ لِي بِقُرْبِ الْعَهْدِ مِنْهَا وَدُونَنَا مَدَى طَالٍ حَتَّى يَوْمِهِ عِنْدَنَا

ولا نستبعد أن يكون ابن الخطيب متأثراً بابن خفاجة وهو يبكي ويتحسر ويتقطع شوقاً إلى الأندلس: ¹³

إِنَّ لِلْجَنَّةِ ، فِي الْأَنْدَلُسِ مُجْتَلَى حُسْنٍ وَرِيًّا نَفْسٍ
فَإِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ صَبَاً صِحْتُ : وَأَشَوْقِي إِلَى الْأَنْدَلُسِ

فهل اختيار لسان الدين روي السين مكسوراً وحده كاف للإدعاء انه متأثر بابن خفاجة؟ فهناك جملة من المعطيات جعلتنا على أقل ندعي ذلك منها: الروي واحد

عند كلا الشاعرين - الروي مكسورا في الموشحتين - كلاهما يبكي على الأندلس ابن الخطيب يقول: يا زمان الوصل بالأندلس وابن خفاجة يقول: واشوقي إلى الأندلس، ابن الخطيب يقول: إذا ما هبت ريح الصبا - وابن خفاجة يقول: ما لقلبي كلما هبت صبا - كلاما بعيد عن الأندلس يبكيان حرقة وأسى ويتكبدان لوعة الفراق كل ذلك حملني على الإدعاء أن ابن الخطيب كان مطلعاً على بكاء شعراء الأندلس وطنهم المسلوب فراح يستلهم منهم.

لقد حاولت رصد قافية السنين مع بحر الرمل في أشعار الشعراء وجدت هذا البحر بركان هائج من الأحاسيس والانفعالات الداخلية يقذفها الشاعر للتعبير عن الغربة أو البكاء أو العشق واليهام والوحشة وهي معان قد توفرت في ابن الخطيب.

قافية الميم: فهذا الشاعر ابن اللبانة يعبر البحر إلى المغرب كما عبره ابن الخطيب، ويقصد أغمات سنة 486 وقبل وفاة المعتمد بعامين وينشده قصيدة ميمية من أجود ما قيل في الرثاء: ¹⁴

أَفَكُرُ فِي عَصْرِ مَضَى بِكَ مُشْرِقاً فَيَرْجِعُ ضَوْءُ الصُّبْحِ عِنْدِي مُظْلِماً
وَكُنَّا رَعَيْنَا الْعِزَّ حَوْلَ حَمَامِهِمْ فَقَدْ أَجْدَبَ الْمُرْعَى وَقَدْ أَقْفَرَ الْحِمَى: ومنها

فإذا كان ابن اللبانة يقول: أجذب المرعى، فابن الخطيب يقول: جادك الغيث - كلاهما يعبر عن حاجة الأندلس على الغوث - كلاهما يبكي عن مجد وعز ضائعين - ابن اللبانة يقول: الغمام إذا همى، فابن الخطيب يقول: إذا الغيث همى

قافية الراء: كتب الوشاح ابن سهل قصيدة رائية يستنفض همم المسلمين، ويحثهم ويستصرخ نخوتهم ويلهب مشاعرهم من أجل الذود عن اشبيلية قلعة المعتمد بن عباد:

وَرِدَا فَمَضْمُونُ نَجَاحِ الْمَصْدَرِ هِيَ عِزُّ الدُّنْيَا وَفَوْزُ الْمُحْشَرِ
خَلُّوا الدِّيَارَ لِدَارِ خُلْدٍ وَارْكَبُوا غَمَرَ الْعِجَاجِ إِلَى النِّعَمِ الْأَخْضَرِ

ابن الخطيب عارض موشح ابن سهل هل درى ظبي الحمى مما أمكنني الادعاء أنه مطلع على شعره فلم يغب عن ذهنه ما قاله ابن سهل فراح يشاركه قافية الرء فكلاهما يستصرخ ويبيكي ويستغيث الأندلس، وهذا نوع من المقاومة الصامتة.

قافية الدال :لا يكاد بيت من أبيات الموشح يخلو من هذا الحرف ليتحول إلى كتلة صوتية تحكي صورة المعنى التي يطمح الشاعر إلى إبرازها المتمثل في صوت الانفجار فإذا كان المعتمد وهو يرثي ملكه ويبيكي على ضياع دولته أنه لما أحس

15 بالوفاة رثى نفسه بهذه الأبيات:

قَبْرُ الْغَرِيبِ سَقَاكَ الرَّائِحُ الْغَادِي حَقًّا ظَفِرْتَ بِأَشْلَاءِ ابْنِ عَبَّادٍ
نَعَمْ هُوَ الْحَقُّ وَأَفَانِي بِهِ قَدْرٌ مِنْ السَّمَاءِ فَوَافَانِي لِمِيعَادٍ

لم يجد كلا الشاعرين إلا قافية الدال كأنها لما حبست همومهما وضافت الأحزان بهما وقع الانفجار الداخلي في نفوسهما مما عجل بإخراجها في هذا الروي فلم يجدا أحسن من هذا الروي، ابن عباد جاء بالروي مكسورا كانكسار جناحه ومملكته وقلبه وجناحه ..أما ابن الخطيب جاء به ساكنا هروبا من الواقع الذي يعيشه ولا مفر من الواقع هذا الساكن الذي اتكأ عليه لعله يكون سكن لقلبه المفجع والمكلوم، ولعله يجد في هذا السكن الراحة التي يبحث عنها ،والذي جعلني أقارن بين الشاعرين في هذه المقاربة أن كلاهما أسر ،ابن عباد يبيكي مملكته وابن الخطيب يبيكي وزارته، كلاهما ي وبيكيان الغربة.

قافية الباء:وما أحسن قول أبي إسحاق إبراهيم بن الدباغ الإشبيلي في هزيمة العقاب بإشبيلية في أبيات قليلة مفزعة فإن المسلمين لم ينهزموا في معاركهم على مدى عيشهم في الأندلس بمثل هذه الهزيمة تراوح قتلى المسلمين بين مائة وخمسين ألف فكانت نذير شؤم وزلزال زلزل الأندلس 16

فَقُلْتُ لَهَا أَفَكِرُ فِي عَقْدِ ابْنِ غَدَا سَبَبًا لِمَعْرَكَةِ الْعُقَابِ
فَمَا فِي أَرْضِ أُنْدَلَسٍ مُقَامٌ وَقَدْ دَخَلَ الْبَلَاءُ مِنْ كُلِّ بَابٍ
فكلا الشاعرين اختار روي الباء مكسورا .

3- المميّزات اللغوية في لغة الموشح (المفردات): لقد حاولت البحث عن المميّزات
التفردية للغة الموشح: واعتمدت هذا البحث في الدراسة لأنه لا شك أنه يساعدني
في معالجة الظواهر الإفرادية المعجمية والنحوية على حد سواء كما أودّ أن أنبه
إلى أهميّة وخطورة معرفة المفردات اللغوية للنص؛ إذ من دون مُدَارَسَةِ المادّة اللغوية
التي تكوّن النص الذي نحن بصدد تحليله، أيا كان هذا النص لأنها تمثل المادة
الخام لشعر الموشح، إذ يعتبر الجسر الذي نعبّر منه إلى النص، إذ بغيره لا يمكن
اهتداء السبيل إلى المميّزات اللغوية في لغة الموشح (المفردات) فيه وفي مظاهره
الإفرادية والتركيبية جميعاً.

ما هو معيار التصنيف المعتمد في اختيار هذه الألفاظ المعجمية؟ لا يُتصور في هذه
الدراسة أن أختار جميع ألفاظ الموشح إذ لو كان الأمر كذلك لخرجت عن مضمون
التحليل المتوخى لذلك تمّ اختيار بعض الألفاظ التي تساعدنا للاقترب من لغة الموشح .
إذ سأقسم مفردات الموشح إلى مجموعات:

أ- البكاء وما في معناه. و يتولد من البكاء.

ب- الحزن والأسى والحسرة. إذ يتولد عنه.

ج- البحث عن المتنفس وأفاق المستقبل.

المجموعة الأولى: البكاء وما في معناه: الغيث: المطر والكلأ. الغيثُ المطر والكلأُ
وقيل الأصلُ المطر ثم سُمِّيَ ما يَنْبُتُ به غَيْثًا أَنشد ثعلب وما زِلْتُ مِثْلَ الْغَيْثِ
يُرْكَبُ مَرَّةً فَيُعْلَى وَيُولَى مَرَّةً فَيُثِيبُ يَقُولُ أَنَا كَشَجَرٍ يُؤْكَلُ ثُمَّ يُصِيبُهُ الْغَيْثُ
فَيَرْجِعُ أَي يَذْهَبُ مَالِي ثُمَّ يَعُودُ وَالْجَمْعُ أَغْيَاثٌ وَغُيُوثٌ.¹⁷

همى: سال دمعى. هَمَتْ عَيْنُهُ هَمِيًّا وَهَمِيًّا وَهَمِيَانًا صَبَّتْ دَمْعُهَا عَنِ اللَّحْيَانِي وَقِيلَ
سَال دَمْعُهَا وَكَذَلِكَ كُلُّ سَائِلٍ مِنْ مَطَرٍ وَغَيْرِهِ قَالَ وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْهَائِمِ فِي شَيْءٍ

قال مُساور بن هند حتى إذا أَلْقَحَتْهَا تَقَمَّمَا واحْتَمَلَتْ أَرْحَامُهَا مِنْهُ دَمًا مِنْ آيِلِ الْمَاءِ
الذي كان هَمَى آيِلِ الْمَاءِ خَائِرُهُ. 18

الحيا:الغيث وقصور المطر. ماء السما: وإن وري به عن أم المنذر. العيون:منها
تسيل الدموع. وادي: مستنقع يجتمع فيه الماء. ساحر المقلة:المقلة العين التي تسيل
منها الدموع.

هذه الألفاظ تصب في مصب واحد وهي الدموع التي صحت بكاء ابن الخطيب
وهو يرى ضياع الأندلس ،وهي صورة معبرة عن الحزن الجاثم على قلبه،بيكى
ضياع ملكه وهو الوزير حتى أصبح عاجزاً عن حماية الأندلس ،واسترجاع
وزارته، فهذا العجز وهذا الحزن سبب له البكاء فسالت دموعه المعبر عنها بهذه
الألفاظ.

المجموعة الثانية:الحزن والأسى والحسرة.البكاء على الشيء يولد الحسرة
والأسى والحزن وقد وظف لها ابن الخطيب مجموعة من الألفاظ فجاءت على
النحو التالي: يا زمان الوصل:لما أصابه الحزن والأسى نادى الزمان وهو يعلم انه
لا يجيب. يقود الدهر:لما يئس من وجود قائد يقود الأندلس نسب القيادة للدهر.
ولما كان القلب مجمع الأحزان وظف له جملة من الألفاظ منها/قلبي -القلب-
ضاق عن وجدي- فؤادي- فؤاد- قلوب-

يذوب أسى:من الجلاء والاعتراب والحزن والأسى...والأسى الحزن كما في
اللسان

الشوق:لما يصاب لإنسان بالحزن والأسى يحمله الشوق للتطلع للأحباب والأهل..
ضاق عن وجدي رحب الفضا:ضاقت عليه الدنيا على رحابتها بسبب النكبات
مما ولد له الأحزان...

المنى:هل هذا هو قدر الشاعر وهذه الأمة التي أصبحت مستباحة...
شقة:ضياع منصبه وهو ذوالوزراتين ،وضياع الأندلس ،وضياع مجد الأمة ...كل
هذه الحسرة سببت له الشقاء..

جلب له الهم والوصب: هذه الأحزان سببت له الهموم. الوصب الوجد والألم هذه الهموم اتبعته وأمرضته.

الأشجان: ضياع الأندلس مرتع شبابه ومجد أمته رسبب له الهموم.
لاعج: حب الأندلس التي ضاعت سببت له الأحزان أشعلت نيران الهوى في قلبه حتى أحرقتة.. لأن اللاعج الهوى محرق
الكرب: أي غم، وأي هم وأي حزن أكثر من ضياع الأندلس... لأن الكرب الهم والحزن والغم يأخذ بالنفس.

الحزن والأسى لا يكادان يختلفان في جوهرهما عن الماء وما في معناهما سيلان الدموع، التي ما هي إلا تعبير عن الأشجان والأحزان، فترجمتهما هذه الدموع، والإنسان عموماً مهماً حول إخفاء هذه الأحزان إلا وفضحته الدموع ما سبب له الأحزان والهموم...

المجموعة الثالثة: البحث عن المتنفس وآفاق المستقبل. فالحزن الشديد واليأس والأسى إذا استولوا على قلب إنسان ما يحاول أن يبحث عن أفق وافق واسع يكون فيه متنفساً لأحزانه قد تمكنه من التطلع إلى المستقبل ويمكن تصنيفها إلى:

رحب الفضا: وكأن رحابة الدنيا لم تتسع لقلب ابن الخطيب المثقل بالهموم والمتخن بالجروح.

شرقه وغربه: أصبح لا يبالى أن يقيم في الشرق أو الغرب طالما أن الهموم قد استولت على قلبه.

الصبح: لعل في هذا الإصباح يكون فيه إشراق جديد وعهد جديد وهو ما يبحث
4 - الصيغ النحوية والبلاغية التي وظفها ابن الخطيب: التراكيب النحوية: دراسة الجمل الفعلية والجمل الاسمية: سنتناول في هذا البحث دراسة الجمل الاسمية والفعلية في محاولة الوصول للجو العام الذي قيل فيه هذا الموشح، هل طغى عليه الحركة والتجدد والاستمرارية أم السكون والثبوت

فالنستطيع بعد ذلك الاقتراب أكثر من هذا النص في محاولة الولوج إلى أعماقه لتساعدنا على فهمه، ولنبدأ أولاً بدراسة الجملة الفعلية، فنقول في: الجملة الفعلية تعريفها: هي التي يكون المسند فيها فعلاً.¹⁹ جادك الغيث، يقود الدهر، تنقل الخطو، ترسم، يدعو الحجيج الموسم، روى النعمان، كساه الحسن، ما نجم، غارت الشهب،.. فالكلام في هذه الجمل مسوق إلى الأفعال، والمسند في هذه النماذج المختارة من القصيدة أفعال، فالجمل إذاً فعلية، والجمل الفعلية تدل على الحركة، والتجدد، فابن الخطيب بقدر ما كان يبحث عن الحركة، والتجدد، والحدث ليحدث به تغيراً وثورة من شأنها أن تغير من حاله وحياتهم، وهو يبحث عن ديار الأحباب والأندلس التي ضاعت، والفعل فيه حركة وتجدد واستمرارية. والجملة الفعلية أكثر من الجملة الاسمية فالأولى قادرة على التأثير والتغيير وأكثر قدرة على استيعاب الأحداث التي يعيشها الشاعر بينما الجملة الاسمية ذات طبيعة ساكنة هادئة. وغير ممتدة داخل النص الشعري بينما الفعلية نمائية متغيرة ومتطورة وقادرة على استيعاب هموم الشاعر وآلامه "تذكرت الصبا"، "ففاضت دموع"، تبصر الورد "غارت الشهب": فيه حركية تنتهي بانتهاء الفعل. وهكذا جميع الأفعال تنتهي حركاتها عند انتهاء حدثها، والفعل موضوعه: كما يقول الجرجاني: "يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء، ومع هذه الحركة، وهذا التغير الذي كان يشرَّب إليه لسان الدين لإحداث تغير من شأنه أن يُعيد إليه الحياة مع الأحبة، والحيوية، والحركة لتلك الأماكن التي أصبحت خالية ويعيد له الأندلس، وإعادة أيام الأنس وذكرى الحبيبة ولكن هذه الحركة التي كان يطمح إليها لسان الدين قد وقفت في تحقيقها جملة من العوائق، مما جعله يلجأ إلى الجمل الاسمية التي تدل على الثبوت والدوام، جعلته يركن إلى السكون، ويؤثره على الحركة، ويختار الثبوت على التجدد، كل ذلك من أجل إثبات الحال فحاجته التي كان يبحث عنها لم يرد أن يفصح والحدث.²⁰ عنها ولذلك نكروه، وكأن الحاجة التي يبحث عنها

صارت ثابتة لا تتغير بتغير الزمان وطُرِّ قمرٌ، فهي وصفٌ ثابتٌ لا تنتهي بانتهاء الفعل. وإن كانت الجملة الاسمية لا تستطيع أن تستوعب هذه الأحداث فهي ذات فضاءات أقل تأثير وانتشار من الجملة الفعلية وتتميز بالسكون لكنه استطاع أن يمنح هذا النمط الأسلوبي شيئاً من الفاعلية والسلطة.

دراسة الأفعال :مجمل الأفعال التي وردت في الموشح 95 فعلاً تتوزع على الشكل التالي: الفعل الماضي: 59 الفعل المضارع 29 فعل الأمر 7 أول ملاحظة نستخلصها من هذا الإحصاء هو طغيان الفعل الماضي على بقية الأفعال

، سواء في الموشح ككل، أو في بدايات الموشح وإن كانت السمة البارزة في النصوص الأدبية، وخاصة النصوص الشعرية تطفئ عليها الأفعال الحاضرة على الماضي والمستقبل وما ذلك إلا لأنَّ الإنسان يفكر، ويعمل فكره فهو إذ يفكر ينطلق من حاضره، وخاصة أنَّ نصوصاً كثيرة دعت الإنسان إلى التفكير، فالشاعر يركز على الماضي حتى طفئ على تفكيره، ووجدانه (جادت، كتمت، مال، غارت، مر روى،..فهو مرتبط بهذا الماضي ارتباطاً روحياً، ووجدانياً، فهو يعود إلى هذا الماضي يستلهم منه الذكريات، فطغيان الماضي على غيره يعتبر نوع من المقاومة، وإن لم يستطيعوا التخلص من هذا الماضي...وقد بدأ لسان الدين موشحه بالفعل الماضي جادك وبالمكان الذي يكتنفه الزمان الماضي يا زمان الوصل بالأندلس الذي تم فيه التواصل، والزمن الحاضر الذي يتجلى فيه الانفصام، ولذلك عمد إلى كسر الحاضر بالعودة إلى الماضي، كما أنه عني بالزمان في أثناء تأمله المعاناة المفردة القاسية، وأردفها في حالة الغربة التي يعيشها في المكان البعيد عن الأندلس ،مما يدفع إلى كسر الحاضر، ولكنه هذه المرة لا يعود إلى الماضي، وإنما ينتقل للبحث عن أفق المستقبل لعله يجد فيه متنفساً لأهاته.

الفعل المضارع: واختيار صيغة المضارع المثبت فيه من الإشعار بالاستمرار التجديدي، أي كما أن آلاءه تعالى لا تزال تتجدد في حقنا دائماً كذلك نحمده

بمحامد لا تزال تتجدد". وهذا يعني أن الأصل في التجدد، وقال الجرجاني (زيد منطلق) فإنه لا يعني عنده غير إثبات الانطلاق لزيد أما (زيد ينطلق) فقد قال فيها: "إذا قلته، أي زيد ينطلق، فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً جزءاً وجعلته يزاوله ويُزجيه... ويتبين بما قدمنا أن الجرجاني قد رأى التجدد في صيغة المضارع دون سواها، وقد استنَّ بسنته في وصف الفعل بالتجدد الدكتور المخزومي في ما اقتبسه عنه، لكنه لم يقصر التجدد على المضارع منه، فقال:

"إن الجملة الفعلية هي التي يدل فيها المسند على التجدد.. وبعبارة أوضح هي التي يكون فيها المسند فعلاً لأن الدلالة على التجدد إنما تستمد من الأفعال وحدها". ثم استشهد في إثبات مقالة التجدد هذه بمثال جاء به على صيغة الماضي فقال:

"ومعنى هذا أن كلاً من قولنا طلع البدر والبدر طلع جملة فعلية.. فقائه بذلك فهم مذهب الجرجاني في التجدد، وفي دعواه أن البدر طلع جملة فعلية.

أما الحاضر: فيبدو أن الشاعر لم تكن له القدرة الكافية ليفكر بل انهار كليةً، وهل تركته الأحداث يفكر؟ هل تركته الصراعات والحروب أن يفكر؟ هل تركته سعاية الأعداء، ووشايتهم أن يفكر؟ وهل تركته الغربة أن يفكر؟ وهل تركته فراق الأحبة أن يفكر، خوفه جعله يتوجس ويتربص ساعة الموت فتجيش مشاعره بالشعر يبكي نفسه ويبكي الأندلس وفراق الحبة والديار، ذلك جعلهم عاجزاً على التفكير، فكيف يفكر إنسان، وهو خائف من كل شيء؟ هل تبقى القدرة للإنسان على التفكير، وقد أُجلي عن وطنه؟ كيف يفكر إنسان، والصراعات القبلية تحيط به من كل الجوانب، لم تكن له بوادر العيش الهنيئة... هذا الحاضر الذي سخر منه لما لم يجد خيوطه فعاد ليرتمي بين أحضان الماضي، وهو يتأسف على هذا الماضي الذي لا يعود، وجعل نفسه أسيراً ومكبلاً بقيوده، وكأته أصبح جزءاً لا يتجزأ من حياته ووجدانه وأحاسيسه، فهو لا يمكن أن يستغني عن هذا الماضي ممّا جعله يعجز عن

التفكير فما بالك بالمستقبل الذي لا يعلمه، ولا يعرف عنه شيئاً، لذلك أهمله، ولم يستعمله إلا قليلاً.

الجملة الاسمية: هي التي يكون المسند فيها اسماً أو ضميراً.²¹ والجملة الاسمية تدل على الثبوت.²²

فإذا كان الفعل يفيد التجدد، والحدوث فكذلك الجملة الفعلية، وإذا كان الاسم يفيد الثبوت والدوام فكذلك الجملة الاسمية.²³ "ملك أضلع" جملة اسمية الغرض منها محاولة إثبات الحال، وكأنّ الملك وصف ثابت لا يتغير، ولكنّ الذي يتغير ويتجدد هو الضلوع، فجعل هذا مدحاً للملك، وجعله وصفاً ثابتاً لا يتغير ولا يتجدد. "الكريم المنتهى" الكرم صفة، وكأنّها وصفاً ثابتاً فيه والجملة جاءت معرفة الطرفين مبالغة في الوصف، وإثبات الحال. "وبقلبي مسكن" مفعول من أوصاف صيغة مبالغة، وكأنّه جمع بين السكن والقلب ولشدة تعلقه بأهله والأندلس وكأنّها أوصاف لا تفارق صاحبه أينما حلّ وارتحل، وجعله وصفاً ثابتاً لا يتجدد ولا يتغير. "مغرماً" وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة" كذلك الهموم، والأحزان اللتان هاجمت على قلبه قد أجهدت، وأتعبته، وكأنّ هذه الهموم صارت أوصافاً ثابتة من أجل إثبات الحالة النفسية التي كان يعاني منها. هذا بالنظر إلى القصائد ككلّ، ولكنّ بالرجوع إلى بدايات الموشح فإنّ الأمر يختلف، إذ الجمل الفعلية طغت على الجمل الاسمية، ممّا يدل على أنّ الحركة والتجدد كانتا سمتين بارزتين عند ابن الخطيب فجعلته يجنح للحركة، ويؤثروه على السكون، والحدث على الثبوت، وشاءت هاته الموشحة أن يطفئ عليها الحدث على السكون، والحركة على الثبوت، وبهذا الحدث كان يطمح، ويتطلع إلى إحداث ثورة يصطحبها التغيير فالحركة تتطلع دائماً إلى الثورة والتغيير، ثورة تعيده إلى وطنه، وأحبائه وتعيد له مجده الضائع ثورة تخلصه من براثن الاقتتال، ثورة تُعيد له مكانته في الوزارة، تُعيد له حقه المسلوب، تُعيد له أهله وأولاده، ثورة تقضي على وحشة الغربة، والاغتراب فطغيان الأفعال

تعكس بدقة الحالة النفسية والشعورية و الروحية، والوجدانية التي صحبت شعراء المعلقات، وهم يقولون هذه القصائد، ويعكس الجو العام التي قيلت فيه المعلقات فهي أصداء لأحداث تاريخية.

5- **جمالية الصور البلاغية:** قال ابن الخطيب:- بقلبي مسكن أنتم به - كناية أبلغ من التصريح بالحب، فلما كنى عن المعنى الذي يريده زاد في إثباته لدى السامعين ، فجعله مبالغة في وأكده بتقديم الخبر في قلبي وتقديم ما حقه التأخير يفيد الخصر وأتبعه بتوكيد آخر وهو ضمير الفصل أنتم ليتمكن الخبر في نفوسهم ، فصورة الكناية هنا أبلغ وأجمل من التصريح بالحب فكانت الصورة أبلغ في إثبات المعنى ، ثم هذه الصورة الكنائية لتعظيم الأندلس وأهلها ، فلمنزلتهم العظيمة منحهم قلبه ليسكنوا فيه مبالغة في الأمر. غارت الشهب بنا أو ربما أثرت فينا عيون النرجس فكنى بالنرجس عن النساء الجميلات كعادة العرب في ذلك لأن ترك التصريح بذكر النساء أجمل من الذكر، ولهذا الغرض لم تذكر امرأة في القرآن باسمها إلا مريم .

مال نجم الكأس وهوى ، الكأس يكنى به عن الخمر التي تهوي بصاحبها في الشهوات و عن المعاناة وباعتبار نزوع ابن الخطيب للتصوف وقد أعقبها بمستقيم السير فهي كناية عن الاغتراب والمأساة و المعاناة والذهول الذي أصابه جراء الغربة وفقدان الوزارة وضياع الأندلس. فإذا أولنا الخمر بالخمير فيكون موشحه شعرا خالصاً لأن من شرب الخمر يميل ولا ييسر مستقيماً، وفي التأويل الثاني تكون استعارة كنى به عن المكروه لأن الكأس يستعار لجميع ضروب المكاره يقولون: كاس الذل، كاس الهوان.

وقال :حين لذا النوم شيئاً أو كما... ، النوم حالة طبيعية تتعطل معها القوى بسبب ترقى البخارات إلى الدماغ^{4 2}

ولماذا لم يقل النعاس؟ لأن النعاس ريح لطيفة تأتي من قبل الدماغ يغطي على العين ولا يصل إلى القلب فإذا وصل إليه كان نوما وقيل النعاس النوم القليل

ويعبر به عن السكون والهدوء بخلاف النوم لأن النوم ما وصل من النعاس إلى القلب فغشيه تهجم على القلب فتقطعه عن المعرفة بالأشياء، فحمل هذا اللفظ على الحقيقة يفقد شاعرية الموشح، لذلك حملها على الكناية أولى لما فيه من التعريض بأهل الأندلس، فالنوم كناية عن الغفلة، ضاعت الأندلس وأهلها غافلون نائمون، أو ربما كنى به ورمز إلى تصوفه لأن النوم في اصطلاح أهل الحق قمع هوى النفس فمن مات عن هواه فقد حيي بهداه.²⁵ وهكذا ارتقت هذه الكلمة من الحقيقة على الكناية إلى التعريض إلى الرمز.

وقال تبهر العين جلاء وصقال، كنى به عن السيف لأنه الوحيد الكفيل باسترجاع الأندلس لأن الصقيل في كلام العرب السيف، قد يكون وصل إلى هذه النتيجة مما قاله أبو تمام: السيف اصدق أنباء من الكتب، أو كناية عن آلة الحرب الخيل التي تركها أهل الأندلس لأن صقال الفرس صنعته. ومن جمالية الصور التشبيهية في قوله: زمرا بين فرادى وثنا مثل ما يدعو الحجيج الموسم

من أدوات التشبيه التي وظفها ابن الخطيب مثل، قال الطيبي ولا تستعمل مثل إلا في حال أو صفة لها شأن وفيها غرابة.²⁶

وقعت مثل صفة لزمرا شبه الأندلسيين في صارعتاهم فيما بينهم بحال الحجاج الذين يقصدون الحج بالإفراد أو القران، ولما كان هذا المعنى بعيد قربه بهذا التشبيه، وجعل النفس تأنس به لإخراجه من الخفي إلى الجلي.

وقال: ينزل النصر عليه مثل ما ينزل الوحي بروح القدس مثل ما ينزل النصر عليه، لأن نزول الوحي قضية مسلم بها، فخالف لسان الدين في ذلك لأن اليأس قد تسلل لقلبه فهو غير واثق في النصر لقد تمكنت الهزيمة في نفسه لقد أصابه القنوط، وحتى يزيل هذه الصورة القاتمة جعل النصر أصلا ونزول الوحي ملحق به مبالغة في الأمر وتأنيساً للنفس في إعادة كسب الثقة، فكما ان الله ينزل الوحي لا يشك بذلك مسلم كذلك الله ينزل النصر.

الأصل في دخول أداة التشبيه على المشبه به ،ولكن قد تدخل على المشبه لقصد المبالغة فيقلب التشبيه،ويجعل المشبه هو الأصل،وكان الأصل أن يقول: ينزل الوحي بروح القدس.

أثرت فينا عيون النرجس هذه الاستعارة لكنائية تلخص بروعة الواقع الذي كان يعيشه أهل الأندلس ،وهذه العبارة في إطارها العام البلاغي تأخذ بعدا آخر وهي محاولة تشخيص أحد السباب التي عجلت بضياغ الأندلس وهو الاشتغال بالنساء فالجمع بين الاستعارة والكناية هو جمع بين الحقيقة والخيال ،فقد لخص في هذه الاستعارة الإضافية تضرره

من الأسلوب الخبري في الموشح: جادك الغيث- لم يكن وصلك إلا حلما- إذ يقود الدهر- تنقل الخطو- زمرا بين فرادى وثنا- يدعو الحجيج الموسم- روى النعمان- مال نجم الكأس....يلاحظ أن ابن الخطيب ألقى الخبر خالياً من أدوات التوكيد يبدو إن المخاطب خالياً الذهن عن هذه الأحكام التي يليقها عليه ولا تبدو عليه علامات التردد والإنكار لذلك ألقى الخبر خالياً من أدوات التوكيد لتمكنه في المخاطب بسهولة .ومع ذلك استعمل ابن الخطيب جملة من التوكيدات ، منها التوكيد بقدر مضى -قد تساوى - قد أضرم هل هناك فرق بين الجمل المؤكدة بقدر وغيرها؟ الجمل المؤكدة بقدر لا تقال إلا لمن يتلهف ويتشوق ويترقب لمعرفة الخبر الملقى إليه ،فأي ترقب وتلهف وتشوق أكبر عنه من الاطلاع على الأندلس وأهلها،ولذلك لجأ لتوكيد هذه الجمل.

وقوله:أعيدوا عهد انس قد مضى ،لما كان هذا الأنس جزء من الماضي الذي انقضى أمره فهو لا يعود ،ولا يمكن إرجاعه دخل الشك والتردد لهؤلاء المخاطبين فترددوا في قبول هذا الأمر

فكيف يعقل أن يردوا له هذا الماضي ،لذلك ألقى الخبر عليهم مدعماً بهذا التوكيد ليمحو هذا التردد ويتمكن الخبر في نفوسهم وليحملهم على الاعتراف توجه غليهم بصيغة الأمر.

وقوله: لاعج من أضلعي قد تضرما لأقد أحرق حب وهوى الأندلس قلبه ، هذه دعوة ينكرها خصومه فقد وجد من ينكر عليه فعلاً: أَتَبْكِي عَلَى لُبْنَى وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا وَكَنْتَ عَلَيْهَا بِأَمَلًا أَنْتَ أَقْدَرُ

أَتَبْكِي عَلَى لُبْنَى وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا فَقَدْ ذَهَبْتُ لُبْنَى فَمَا أَنْتَ صَانِعُ

فاحتاج على هذه التوكيدات لدفع شبه خصومه وترددهم في قبول كلامه.

من الأسلوب الإنشائي: إذا كان الاستفهام اللغوي طلب الفهم والجواب عن السؤال المطروح، فإن الاستفهام البلاغي لا يطلب به جواب فقط بل يتعداه إلى أغراض ودلالات أخرى تمتزج بها المشاعر وتحجش بها النفوس فتلقى في قوالب معينة كالتشويق والإثارة أو الانتباه أو النفي أو التعظيم أو التعجب أو الحيرة.، وهذه المعاني لا سبيل إلى فهمها إلا في سياقات الكلام وقرائن الأحوال.

يقول ابن جني : ^{7 2} واعلم أنه ليس شئ يخرج عن بابه إلى غيره إلا لأمر قد كان وهو على بابه ملاحظاً له وعلى صدّد من الهجوم عليه . وذلك أن المستفهم عن الشئ قد يكون عارفاً به مع استفهامه في الظاهر عنه لكن غرضه في الاستفهام عنه أشياء . منها أن يرى المسؤل أنه خفى عليه ليسمع جوابه عنه . ومنها أن يتعرف حال المسؤل هل هو عارف بما السائل عارف به . ومنها أن يرى الحاضر غيرهما أنه بصورة السائل المسترشد لما له في ذلك من الغرض . ومنها أن يُعد ذلك لما بعده مما يتوقعه حتى إن حلف بعد أنه قد سأل عنه حلف صادقاً فأوضح بذلك عذراً و (لغير ذلك) من المعاني التي يسأل السائل عما يعرفه لأجلها وبسببها. فلما كان السائل في جميع هذه الأحوال قد يسأل عما هو عارفه أخذ بذلك طرفاً من الإيجاب لا السؤال عن مجهول الحال؛ قال لسان الدين: كيف يروي مالك عن أنس فبان الخطيب لا يطلب الفهم لأن راوية مالك عن أنس ثابتة وصحيحة ومشهورة ، فما الذي جعله يتساءل؟ فهول لا يتساءل لطلب الفهم لكنه أخرج عن معناه الأصلي المتمثل في السؤال عن الحال لغرض بلاغي الغرض منه التعجب، فهو يتعجب من أمر هذه الأمة ، فالغرض من الاستفهام لن

يبدو واضحاً جلياً إلا إذا وقفنا على حال المخاطب والظروف المحيطة بهما عندئذ يمكن أن نتلمس الوجه البلاغي، ونستخرج النكتة البلاغية والهدف الذي يرمي عليه الشاعر...فالحالة النفسية التي كان يعيشها ابن الخطيب من غربة وضياح الملك وضياح الأندلس والاعتراب ووشاية الأعداء، وعجز أهل الأندلس في الدفاع عن وطنهم...كل هذه المعاني جاشت في نفسه فقذف بها السؤال لا لسؤال عن الحال لأنه الوزير المطلع على الأمور ولكن للتعجب من حالهم كيف تضيع الأندلس ولا يتحركون...فالشعور المسيطر على الموقف هو الذي جعل يلقي بهذا السؤال. وهذا الاستفهام لا تتضح معالمة إلا إذا وقفنا على الموقف الذي سيق فيه وحال المخاطب والجو النفسي والشعوري إلي قيل فيه، فمن الناحية الجمالية الاستفهام يعطي الحيوية والنشاط ويزيد في الإقناع والتأثير معاً فيثير السامع ويتحول من مجرد متلق إلى مشارك في الخطاب فيصل على الجواب دون أن يملأ عليه.

الخاتمة : حاولنا أن نثبت أن ابن الخطيب يبكي معتمدين على جملة من الملامح الأسلوبية في فرأتنا للموشح من خلال العنوان والبحر والقافية والمفردات والتراكيب، استطعنا على الأقل أن نغير من تلك الدراسات التي ذهبت إلى أن الموشح يجنح للغناء الذي يتناسب مع بيئة الأندلس، وخلصنا إلى أنه ليس بالضرورة أن يكون غناء، فأثبتنا من خلال هذه المستويات من التحليل أن ابن الخطيب يبكي لكنه بكاء يختلف عن بكاء شعراء الجاهلية على الأطلال... يبكي بكاء سياسياً على المنصب الذي ضاع الوزارة، يبكي بكاء فلسفياً على الوطن الذي ضاع وبكاء روحياً صوفياً تغلب النصرانية على الإسلام ومهما حاول إخفاء البكاء في هذا الموشح إلا أنه قد فضحه البكاء في قصائد أخرى منها: 28

فالشعر مهما يقال عنه بأنه هيام إلا أنه يخفي حقائق تاريخية واجتماعية وسياسية وإنسانية بعيدة.

المصادر والمراجع:

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الاماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها : الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر 499 هـ - 571 هـ دراسة وتحقيق علي شيري الجزء الثاني عشر حازم بن حسين - حسام بن ضرار دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- أسرار العربية: الأنباري، تحقيق : د.فخر صالح قدارة، دار الجيل - بيروت، ط.الأولى ، 1995
- التعريفات: الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط.الأولى ، 1405
- خزانة الأدب وغاية الأرب: تقي الدين الحموي ، تحقيق :عصام شعيثو، دار ومكتبة الهلال بيروت، ط. الأولى ، 1987.
- الوايف في العروض والقوافي: الخطيب التبريزي، دار الفكر العربي ، دمشق، سوريا. ط. الثانية - 1407 - 1986
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت. طبعة. الأولى.
- المخصص:أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده
- ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت - 1417 هـ 1996 م ط.الأولى
- كلام العرب من قضايا اللغة: الدكتور حسن ظاظا ، دار القلم دمشق، دار لشامية، ط. الثانية 1410 - 1990
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن المقرئ التلمساني، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر - بيروت - لبنان

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس.
- زاد المهاجر: ابن القيم، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني جدة.
- مدخل إلى دراسة الجملة العربية دار النهضة العربية 1408هـ
- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: أبو موسى، محمد محمد، مكتبة وهبة.

الهوامش

- ¹ دينامية النص: محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط. 1990، ص 72.
- ² خزانة الأدب وغاية الأرب: تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزاري (72/1).
- ³ خزانة الأدب وغاية الأرب للحموي (1 / 279).
- ⁴ الوافي في العروض والقوافي: الخطيب التبريزي، ص: 109.
- ⁵ لسان العرب: ابن منظور (5 / 87).
- ⁶ لسان العرب: ابن منظور (5 / 87).
- ⁷ المخصص: بابن سيده (3 / 107).
- ⁸ أسرار العربية (1 / 362).
- يقول الدكتور حسن ظاظا: الباء حرف انفجاري لا يمكن أدائها إلا بإغلاق ص: 12.
- ⁹ محكم متلو بانفجار.. كلام العرب قضايا اللغة
- ¹⁰ كلام العرب من قضايا اللغة، ص: 20.
- ¹¹ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (4 / 457).
- ¹² نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (5 / 86).
- ¹³ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (4 / 20).
- ¹⁴ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (3 / 78).
- ¹⁵ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (3 / 57).

- ¹⁶ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - (4 / 464).
- ¹⁷ لسان العرب (2 / 175).
- ¹⁸ لسان العرب (15 / 364).
- ¹⁹ أما الجملة الفعلية فما كان الجزء الأول منها فعلاً. أسرار العربية، ص: 83.
- الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني (99/1)، زاد المهاجر: ابن القيم، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني جدة. ص: 66.
- ²⁰ قد اعتمد هذا الاختيار الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه "من أسرار العربية" القاهرة
- ²¹ 21، والدكتور مهدي المخزومي في كتابه "النحو العربي نقد وتوجيه" 289_301 ص: "1966
- ، والدكتور محمود نحلة في كتابه "مدخل إلى دراسة الجملة 42_47 ص: 1964 بيروت
- ، نحاة العربية W، والمستشرق فيشر 90م، "ص: 1988هـ 1408 العربية دار النهضة العربية
- القدماء قد جعلوا في تحديد الجملة "المسند والمسند إليه" ولا عبرة بما تقدم عليهما، أبو
- العباس المبرّد: في المقتضب المبرد تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، دار الكتاب
- المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت. 1399 (4/128)
- اشتهر عند أهل البيان أن الاسم يدل على الثبوت والاستمرار والفعل يدل على التجدد
- ²² والحدوث. ورفض
- البغدادي ذلك؛ فقال: فليس كل جملة اسمية مفيدة للدوام، فإن قولك: زيد قام، يفيد تجدد
- 174\1 القيام. الخزانة .
- ²³ خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: أبو موسى، ص: 265.
- ²⁴ التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، ص: 713 .
- ²⁵ التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (1 / 684).
- ²⁶ الإتيان في علوم القرآن (2/114).
- ²⁷ الخصائص (2 / 464).
- ²⁸ ولكم آثرت كتمان الهوى غير أن الدمع بالسر وشا
- كيف بالكتمان يوماً لأمري سره في خده قد نقشاً
- كلما صحت بها واكبي مادت الأرض لما بي دهشاً